Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفلكولورية أو...

فلنبدأ من تأييد ونوس لعبد الله العروي في تشخيصه لنقص الفكر التاريخي عند المثقفين العرب، حيث تبدو -بعبارة ونوس- علاقتنا بالتاريخ مازالت تفتقر إلى التعامل مع وقائع ماضينا كصيرورة لها أسباب ونتائج، أي كصيرورة اجتماعية سياسية ثقافية، معقدة ومتنامية. لذلك يدعو إلى كتابة التاريخ بصورة علمية متحررة من وطأة الوحي والقداسة، وليس كتابة استعمالية تكرس مقولات أيديولوجية قومية أو دينية.

إن الفكر التاريخي الذي تطلبه قسطنطين زريق وعبد الله العروي وياسين الحافظ والياس مرقص، هو وحده برأي ونوس ما يمكن أن يسعفنا على مواجهة مشكلاتنا بأسئلة صحيحة ومقاربات معرفية مجدية.

ومثل الإلحاح على الفكر التاريخي يأتي الإلحاح على الوعي التاريخي. ومن الأمثلة الناصعة لذلك قراءة الكاتب لمالك بن نبي ولسيد قطب، ونقده للوعي الجاهز، ابتداء بكتابته هو نفسه، كما يعبر لنبيل حفار في المقابلة المذكورة أعلاه عام 1986: (آخذ على مسرحياتي أنها مازالت تحمل بعض آثار الوعي الجاهز)، وكما أضاف (لم أكن أريد في مسرحياتي أن أقدم وعياً جاهزاً. وكان مهماً بالنسبة لي أن أنقد وأحلل وعياً سائداً هو بالذات الذي يقود إلى الهزيمة والاستسلام).

وإذ يتصل أمر التاريخ بأمر المسرح والإبداع يبدو سعد الله ونوس منذ عام 1968 حتى كلمته في يوم المسرح العالمي عام 1996، كأنما يتهجد تلك العبارة التي قالها برناردوت في حوار ونوس معه: (وكما إننا لا نستطيع تصور نهاية للتاريخ فإننا لا نستطيع تصور نهاية للمسرح).

وقد كان (الاستلهام) أو(إعادة الإنتاج) تجسيداً أثيراً لما بين التاريخ والمسرح والراهن والمستقبل، لما بين الجسد والروح، وهو ما يمكن تلمس رسومه الكبرى في التالي:

1- بالعودة ثانية إلى عام 1968، وحين كان الكاتب قد أنجز مرحلة مسرحياته الأولى، ولبث يتأمل مشروعه على وقع هزيمة 1967، نراه يلح في حواره مع جان ماري سيرو على سؤال النصيحة. ومن المهم أن تستعاد نصيحة المخرج الفرنسي بالانطلاق من كل ما هو حكاية شعبية وتقاليد، ومما يحفل به التاريخ الإسلامي من حِكَم شعبية وأمثولات ونقد ذكي.